والاستفادة بما منّ الله به على عباده من الخيرات والبركات

وكانت شريعته ترجح الطهر على الشر والرحمة على الظلم والشفقة على القسوة والعلم على الجهل والنظافة على القذارة والمحبة على البغض وغير ذلك مما لا يختلف في ترجيحه اثنان

وكان ينشر الاعتقاد بأن النور والشمس والقمر انما هي مظهر من مظاهر الله الذي تنزه عن كل شيء . وكان يعتقد أن الخالق اكبر من أن يوصف أو يسمى وانما الاسماء التي تدل على صفاته ان هي الا بقدر مايصل اليه فهمنا وعقولنا

ولما تولى عرش سلطنة بلاد فارس الملك العادل كسرى أنو شروان استمر على شريعة اسلافه من الملوك وهي شريعة زردشت ولا يزال على هذا الدين خلق عظيم من أهل ايران والهند والزردشتيون في الهند من اكابر رجال أهل المملكة ولهم مكانة عظيمة عند دولة بريطانيا العظمى

القاهرة الحاج عبد المحمد ايراني مؤدب السلطان
وصاحب جريدة جهر نماء الفارسية

كلمة في الزواج

وهي خطبة رائعة ألقاها حضرة أستاذنا الجليل خليل بك مطران في النادي الكاثوليكي بالقاهرة مساء السبت الواقع في ٢٧ مارس الماضي على جمهور كبير من الاسر النبيلة وقابلها سامعوها بمزيد الاستحسان والاعجاب الشديد بمواهب الخطيب الاجتماعي صاحب المواقف الشهيرة في خدمة البلاد والعلم والادب سواء كان بقصائده الرنانة أو خطبه الفتانة وقد رأينا أن ننشرها برمتها لاننا رأيناها خير علاج لاحجام الشبان عن الزواج في هذه الايام (الاخاء)

قال أعزه الله وأطال بقاءه بعد تمهيد لطيف ..

ان فريقا من شبابنا مخطئون وأي خطأ بتلكؤهم عن الزواج يحتجون لتسويغ

خطئهم من جهة بكثرة نفقاته ، ومن جهة ثانية بقلة رزقهم ، وهو في الغالب ينجم عندنا عن الجنوح جهد الطاقة الى التقليل من العمل ، ومن جهة ثانية بزعمهم أن فتيات هذا العصر لا صبر لهن على الواجب ، وأنهن يؤثرن السرف والخلاعة والرقص ، فيحكمون على مجموعهن بما يرون من افراد فيهن

علل أولية ثلاث يعددونها ويرددونها أكثر من غيرها وعليها سأقصر كلامي في هذه المحادثة

على أن فريقا غيرهم يحتجون لتبرير امتناعهم بأولئك الذين اختاروا حلالهم فاساءوا الاختيار اما بتعريض مواضع الضعف من عقولهم لسحر العيون وتقبيلهم المقاتل من قلوبهم لطعنات القدود ، أو لأنهم عجلوا في طلب الراحة البيتية والتماس الهناءة الزوجية فرحين بالمهر الذي يهيء لهم المسكن مفروشا على قدر ، ولا يسومهم النفقة على حلى العروس وحللها ، ويريح البال من شاغل الرزق لوقت قصر أو طال ، غير ناظرين الى تناسب في الاخلاق ، أو تكافؤ في المكانة — ولهذا التكافؤ أثر بعيد في أطوار الاسرة — اكان يصح أن يتخذ خطأ للمخطئين وسيلة لانكار الصواب والتطأ شذوذ والصواب قياس ؟

لا ريب في أن أشد خطل نحن فيه وانموذج انحراف رأيناني مقتضيات الحياة الجديدة حياة هذا العصر :: اذ نضعها — كأن الدنيا لا تدور والاحوال لا تحول — موضع المقارنة بينها وبين المعيشة التي وجدنا عليها آباءنا ، أو نريدها التماسا لنا للراحة وتفاديا من مزيد الكد على ما كانت عليه في ليلم الفطرة والسذاجة وشتان ما بين الماضي والحاضر خصوصا في هذا الزمن

ما مرادي بقولي خصوصا في هذا الزمن ؟

الوقت لا يسرع ولا يتمهل ولكن كان يخيل قبلا أن الوقت يمشي الهوينا لان تحول الناس والاشياء كان يخطو خطى السلحفاة أما اليوم فدولات التحول قد اصبحت عاجلة ناهية العجلة فهو بالنسبة لما قد صار يومض ايماض البرق لا تكاد تحيي بوا كيره حتى تودع أعقابه ومن ثم أضحت الوقفة بين الدقيقة والدقيقة تخالها مسافة فيحاء بعيدة . فهل والحالة هذه يجوز لنا أن نظل على مطالبة دهرنا بما لا قبل له به

ولا نطالب أنفسنا بما نستطيعه من العمل الذي يرد عنا خيبة الامل بمنحنا ناحية الامكان بالتوفيق بين ساعينا واحكام الزمان والمكان

سيداتي . سادتي

لم يخلق الانسان ليعيش منفردا : اولية يثبتها لنا في كل لحظة القاؤنا النظر على ماحولنا من الخلائق عاقلة وغير عاقلة . تستخدم الطبيعة كل قواها لتجعل كل كائن بين يديها عاملا من عوامل الاستبقاء والبقاء . فمن قاومها فهو بائد ولا يضير الا نفسه

هل قرأتم قليلا أو كثيرا من الآف القصائد ومئات آلاف القطع المنثورة في ذكر الغرام . في وصف نوائح الغرام . في النعي بحسراته . في بث آلامه ومسراته : وهل تتذكرون فيما مر بكم أو شجاكم الى اي أوج في سماوات الصفاء رقي البليل المغرد شاديا أو الى غور سحيق في غيابات الشقاء هبط الهديل المسهد شاكيا ؟ لم يكن اولئك الا ضروب تبيين لذلك الدافع الغلاب الذي يدفع كل حي الى لقاء حبيبه لاستدامة الجنس

فالزواج ضرورة

لكن اناسا منا وهم شرقيون وأبناء شرقيين محجمون كما قلت آنفا عن الزواج اقتداء منهم بفريق من الغربيين ويشحطون ما يشحطه هؤلاء من المفاخر التي لا يجدر اكثرها بالقبول . أما الغرب فابصر بشأنه واجدر بمداواة أدوائه وليس من غرضي هنا أن أذكر عنه شيئا وانما مجمي اليوم ينجه الى العالم الخاصة بنا في هذا الشرق الكثير الطوائف المتعدد المدنيات والاصطلاحات الاجتماعية المتنوع الآلام بقدر والآمال التعدد والتنوع في مثله

يؤخذ من أقوال ابنائنا المحجمين عن الزواج أن السبب الاول هو : كثرة النفقات

هناك العرس : باهيك ببهارجه وزوبعته وأنواره وأزهاره وملابسه واطعمته واشربته وسهره وغنائه ورقصه ، ثم هناك البيت كراؤه كذا في الشهر ورياشه فيه الغالب هو كل رأس المال أو جله ؛ ثم هناك البيشة العلية : اكيتها للسيدة والسيد من الصنف والصنع اللائقين بمقام الاسرة ، واللحم والخضر والفاكهة وشيء يسير من الخمور أما المشهيات أو الحلسات لمذاق الطعام أو المهضمات ، وزيارات أو ردها

وتنزهات قد يكثر معها المناسبات عندها : تهنئة الاولاد متى جاءوا فأول ما نجد معهم المرضع ومطالبها وخدمتها الخاصة، وتالي ذلك سلسلة طويلة من نفقات طبيب وصيدلية وحفلات تبنئة بالمولود أو تصبير أو بلوغ العام بعد العام من سنه المباركة الخ الخ مما لا اقدر على تعداده الآن : يقولون كل هذا متحتم واذن فهو باعظ مرهق .. ولكن هل يجرؤ واحد فيقول لماذا كل هذا متحتم ؟

أول اخطائنا يا سيدتي اننا نعيش للخارج لا للداخل . نحسب السعادة برانية والسعادة انما هي جوانية . نتوهم ان الناس اجمعين مشتغلون بنا وهم لو تدبرنا مشتغلون عنا الا أيلفوا من يتوهم الشجاعة في مقارعة الابطال بميدان الغزال انما توجد شجاعة فوق هذه يبلغ بها الانسان مالا يبلغه بسواها : تلك شجاعة الصدق مع النفس

تنظر بادىء بدء الى النفقات بالقدر الذي يريده اناس هم في مخيلتنا ولا تنظر الى حقيقة ما يعوزنا من النفقات

نعيش في نعمة بال وقرة عين بلا افراط ولا تفريط . هذا الحزم ليس في طباعنا وأشد عثراتنا الاجتماعية متأت من تركه . انظرون في اربات الصوالجة والنيجان منها اتسع سلطانهم ووفر جاههم من يكون اعنا من زوجين منحابين كاسبين راشدين قائمين كل بواجبه محسنين تربية ولدهما غير ناظرين الا الى ما يزيدهما رفاهة وحرية تجاه العالمين . ليس ادراك هذه الغاية السامية من الحرية والحصانة نتيجة الحزم ونهاية السير في صراطه المستقيم . ما داعية ذلك العرس الفخم لمن لا يستطيعه وذلك الفرح الذي لا يلبث ان يتحول الى نقيضه ؟ هل الفراش الوثير يغني من طمأنينة القلب وراحة الضمير ؟

لم لا يكون اثاثنا جزءاً من رأس مالنا بدلا من ان يكون كله ؟ ولم لا يبقى سائر رأس المال معوانا لنا على ازدياد الدخل وعدة على غدرات الزمان

لا أطيل في هذه البديهيات وانتقل الى سبب آخر

يذكر الممتنعون سبباً ثانيا هو : قلة الكسب يعنون عادة بهاتين اللفظتين قلة نسبية . الستم تجدون احيانا ان ما لا يكفي فلانا كراء بيت يكفي غيره كل حاجات معيشته البيتية . مسألة تدبير لولا . وغريب من امر هذا التدبير ان اصحاب العقول

المتوسطة يوفقون اليه اكثر من المتوفقين بعقولهم في الغالب . هؤلاء على ما يظهر بالاختبار يعتمدون على ذكائهم وفتق حيلتهم في سداد الثغور وقد يفلحون مرة أو مرتين ثم لا يفلحون بعد ذلك لأن قواعد الاقتصاد من السنن الطبيعية التي لا تقبل مناقيلها بالمداورات والمخارقات . أضرب لكم مثلا بنفسي : منذ خمس وعشرين سنة كان لي صديق يعايشني . دخل عشرة ودخلي مئة : كنت في خلال الشهر اقترض منه القليل والكثير فيقرضني وهو ايضا في محبوحة وانا ابدا في حرج . ثم ترى الرجل ولم يجازف ولم يقامر ولم يضارب بل من مجرد استغنائه عما يستغني عنه امثاله من أجل انه صبر حتى اتم الاساس واقام البنيان فصبح ذا سعة يتفق منها . وكم وكم لديكم من مثل هذا الصديق يشهدكم في كل يوم ما تفعل عجائب الاقتصاد والحزم على حين ان اخوانا لكم يرزقون الاضعاف المضاعفة وهم في بؤس وشقاء يزدادان كل يوم

نحن نريد ان نبدأ الحياة من النهاية فنيسر هذا ؟ العصفور يبني عشه ثم يجمل فيه فرخه والانسان ينبغي ان يكون ذا بيت ومال وعروس وجاه عريض من قبل ان يسعى ويكد ويدخر ويقتني ويصير ذا مقدرة ، فنيسر هذا ؟ فعلينا اذن ان نرجع في تقدير الكسب الى الحقيقة لا الى الخيال أي الى الاطلاق لا الى النسبية أو بعبارة أدق الى النسبية المرموق بها من يصح ان نتشبه به لا الى تلك التي نرمق بها من لا يصح ان نتشبه به . فاذا نظرنا هذه النظرة الصائبة في كنه الامر وجب ان نصرف همنا وهمتنا فعلا وبالقصى ما نستطيع بذله من الجهود الى الاستزادة من الرزق الطيب الرزق الذي يتضاعف سرور احرازه برضى الانسان عن نفسه لقيامه بالواجب

هنا انبسط قليلا في ايضاح فكرتي :

ليست الحياة متاعا وقضاء شهوات لكننا نقيمها على صورة معكوسة ومخالفة للواقع . ومن ثم فاجأتنا في أنفسنا وفي ابنائنا حسرات جمة . اذا تزوجت فتزضي هو السعادة ولكن لا ينبغي في الرجل الاديب من ابناء هذا الزمن النير ان تفسلخ فكرة السعادة عن فكرة الواجب وعنائه . افتحه في شريكة في العمر لاهناً بقربها وتهنأ بقربي ولتتقاسم السراء فنزيدها وتضمها وتتعاون على الضراء فتنقصها وتخففها

ولكن كل هذه الاماني لا تتحقق الا مع قيامي بواجبي واضطلاعي باعباء الاسرة في

وتغلبي على الرغائب الوقتية السخيفة التي تدفعني الى الخروج عن حدي وتوهمني انه يسهل عليَّ الرجوع الى ذلك الحد بحيلة فكري او قوة جدي أو سعادة جدي . فاذا وطن الرجل نفسه على هذا ولم يبرز عن دائرة الحزم التي تصونه ؛ تيسر له ان يزيد وجه من توليه عملا فوق عمله الذي يرتزق منه . كلنا يفعل هذا ويحاوله وانما ينجح من كان اضبط حسابا فهو اهدأ بالا وأسلم جسما واصفى ذهنا وأقدر على الاستزادة من مغانم المماطلة بين الناس . وهذه المغانم وفيرة كل الوفرة لمن يكون على نحو ماوصفت

بهذا يتسع البيت ؛ ويتسع ، وتعلو طبقاته ؛ وترف ظلال اجواحه :على انه من بركات قدح الفكر وكدح اليد العاملة وليس من الاحلام التي يضيع فيها الكسلان يقظته ويلاشي بها على توالي الايام همته

ولننظر بعد هذا البيان في سبب آخر

السبب الثالث فيما يحتج به الممتنعون هو : تغير أخلاق البنات

البنات مرآة ظاهرة لامانينا الخفية . يكن ماتريد تلك الاماني ان يكن . لابرئهن جميعاً ففيهن الصالحات وغير الصالحات كما في كل جيل وفي كل جماعة ولكنهن بوجه عام على ماذكرت اصبح الفتى من فتياتنا يفكر منهن في التي تبرز له ولا يطلب التي تلزم عقر دارها . يفتقر لذات المهر احتجابها ، ورقصها ، محاورتها التشبيبية مثى قدر ان المهر يفي بالحاجة التي تقتضيها هذه العيشة المتوجة بالعالية أمانات التي تتوارى بالحجاب فهي من الصنف القموس (السابق التاريخ) لاتعرف لذة هذا العصر . أجفانها تجهل جهلوية الفتنة وأعطافها لاتجيد التأود الباعث للاشواق المحرك للاشجان اذا استثنيت خوات البائنة (الدوطه) وخصوصا البائنة الوفيرة . فقد كادت العذارى لاتجد الخطاب الا ان يؤخذ بعضهم أخذ الطائر في الشرك . ولكن هل هذا الشر قد استطار حتى صار فساداً ! اقول لا ـ الا في احوال معدودة ـ ولا اخشى التكذيب . بل حسبي للاقناع أن أرد المرتاب الى وقائع مما شهد بنفيه

بناتنا الشرقيات لم تزل قلوبهن سليمة وعقولهن غير مشتاقة تشية كثيفة بالاضاليل . ليذكر كل منكم بحسب سنه طبقة أو طبقتين أو ثلاثا في معارفه من البنات اللواتي تزوجن هل رأهن بعد الاقتران ولاسيما بعد الامومة عدن الى معاهد اللهو والزفن .

لم يتبين كيف اعتكفت اللواتي أتيحن بشيء من الخلاعة عن كل منطقة للخلاعة ورضين بقسمتهن وقرحن بالبسير من الخير وصبرن على العكثير من الشدة وما كن ليتعبن أو يتعبن لولا مجاوزة الحزم في النفقات ومعظم الذنب في ذلك لضعف الرجال. قولوا لي بالله . لو وجد للابكار من هذه الامثلة شبان أولو حزم وعزم يتهيبون ازواجهم مالا يصعب عليهن فهمه مما يتعلق براحتهن ويوضحون لهن على الاخص أن كرامتهن التي يطلبنها من الازياء الغالية والمفروشات النفيسة تتوافر لهن الف مرة فوق ما يحسبن — من التزام خطه الاعتدال وحسن القيام على البيت وكمال التأديب للاطفال وطيب الاحدوثة عنهن بين الناس ، لما يصيب هذا النصح الجميل منهن قلبا واعية ؟ نبئوني أبعولة يقولون مثل هذا لنسائهم مع بذلهم مجهودهم مع شدة حرصهم على توفير النعم لهن بقدر المستطاع يعقل أن لا يسعدوا ويسعدوا حلائلهم في أبعد حد يتمناه أو لو الرأي الصحيح في الحياة ؟

ليس في معظم بيوتنا الا ما يقر العيون ويشرح الصدور ويرتضي اسمى مطامع الرجال والسكنهن كما قلت في بدء هذه الفقرة مرآة ظاهرة لامانينا الخفية فلنرددهن الى الخير يكن على الخير كأحب ما تكون الملائك الابرار في أكرم جوار . والا فماذا ينتقي الشياطين سوى بنات النار

أشعر انني افضت فاسهبت والموضوع غير شعري وكل ما يتمال فيه مما لا يشنف السمع ولا يخف على الطبع فاختم محاضرتي بالكلمات الآتية

الزواج ضرورة والحياة المشتركة لا سعادة فيها وما مسراتها الا ابتاضات برق يعقبها الظلام والمتاعب المشتركة . يندر أن تكون عيشة العزب منظمة وحيث لا انتظام كيف يتسق للرجل المركز الاجتماعي . وما وزنه بين العشائر والاسر . وأي أمر نافع للامة أو للانسانية يكون قد ملأ به أيامه لتكون له بذلك مفخرة أو سلوة في شيخوخته هذا ولا اسأله في تلك الشيخوخة بمن يكون اعتضاده وعلى من يكون تعويله

الزواج ضرورة وان بدت لنا دونه المشقات . أن الحياة الجديدة تطلب منا أفكارا جديدة ومجهودات جديدة فقد علا مستواها ويتحتم أن نكون على مستواها. هل نستطيع بالتواكل القديم والبلادة القديمة أن نقابل السرعة والتكاليف الضخمة في الحياة الحديثة